ابراهيم خليل احمد

اسرائيل فتنة الأجيال

العصور القديمة

الناشر
مكتبة الوعي العربي
• شارع كامل صدقي بالفجالة
تليفون ٩٩١٩٦٥

١٩٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم الأستاذ على عبد العظيم
مدير الوثائق والمكتبات بوزارة الأوقاف

أجمعت الكتب السماوية الباقية بين أيدينا اليوم على أن الشعب اليهودى قد خرج على جميع القيم المثالية ، وأنه حطم جميع القواعد الخلقية ، وأنه شوه كل التعاليم الروحية ، وأنه أعطى أسوأ مثال للانحراف والفساد ، وأنه أصبح شر أنموذج للبغى والخسة والانحلال .

ونستطيع أن نسوق بعض الأمثلة من هذه الكتب المقدسة لأن ذكرها جميعها لا يتسع له المجال :

اولا – فى العهد القديم : وهو الكتاب المقدس عند اليهود — يقول لهم نبيهم إرمياء فى تأنيب شديد : « إنكم تتكلون على كلام الكذب الذى لا ينفع . أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذبا وتبخرون للبعل[1] وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ، ثم تأتون وتقفون أمامى فى هذا البيت الذى دعى باسمى عليه ، وتقولون قد أنقذنا . حتى تعملوا كل هذه الرجاسات ، هل صار هذا البيت الذى دعى باسمى عليه مغارة لصوص فى أعينكم ؟ »[2] ، وبهذا دمغهم بالكذب والإسراف والقتل والزنا والأقسام الكاذبة وعبادة

---

(١) بعل مردوخ : صنم عبده الفينيقيون والكنعانيون والبابليون ثم انتقلت عبادته إلى اليهود ، وقد قال لهم إلياس عليه السلام : « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين » سورة الصافات ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) إرمياء ٧ : ٨ — ١١

الأصنام وتحويل الهيكل إلى مغارة لصوص . ثم يصفهم فى مكان آخر بأنهم ارتدوا إلى الشرك بعد التوحيد ، وانصرفوا إلى عبادة الأوثان حيث يقول معللا غضب الله عليهم : «من أجل أنهم تركوا عهد الرب إلههم وسجدوا لآلهة أخرى وعبدوها »(١)، وتوعدهم بما أوحاه إليه الرب : « وكالتين الردىء الذى لا يؤكل من رداءته — هكذا قال الرب — هكذا جعل صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه وبقية أورشليم الباقين فى هذه الأرض والساكنة فى أرض مصر وأسلمهم للقلق والشر فى جميع ممالك الأرض عاراً ومثلا وهزأة ولعنة فى جميع المواضع التى أطردهم إليها ، وأرسل عليهم السيف والجوع والوباء حتى يفنوا عن وجه الأرض التى أعطيتهم وآباءهم إياها »(٢).

ثانيا — فى العهد الجديد : يقول السيد المسيح عليه السلام : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل . . (٣)ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة(٤)... أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصدّيق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل

---

(١) إرمياء ٢٢ : ٩ .
(٢) إرمياء ٢٤ : ٨ — ١٠.
(٣) إنجيل متى ٢٣ : ١٣، ١٤ .
(٤) إنجيل متى ٢٣ : ٢٧.

والمذبح . . »[١] ووصفهم بأنهم جعلوا بيت الصلاة مغارة لصوص [٢].

ثالثا — فى القرآن الكريم : منّ الله على بنى إسرائيل بإنقاذهم من بطش فرعون مصر وجبروته ، ولكنهم كفروا بأنعم الله وقابلوا حسناته بشر ألوان الإساءات ، فما كادوا يعبرون البحر ويرون مصرع أعدائهم حتى قالوا : « يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون »[٣] ، وما كاد موسى يذهب لمناجاة ربه حتى ضل قومه : «واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين»[٤] . ومن العجيب أن يرتدوا عن عبادة الله إلى عبادة العجل ورسولهم حى بين أيديهم ، وأن يقطعوا شوطاً طويلا فى الفساد والضلال والانحراف حتى أصبحت هذه الصفات فيهم أصيلة لصيقة منذ عهد موسى ومن تلاه من الأنبياء عليهم السلام ، فقد كانوا « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون»[٥] وزعموا أنهم « أبناء الله وأحباؤه . قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق»[٦] ، «وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا : أنؤمن بما أنزل علينا ؟ ويكفرون بما وراءه ، وهو الحق مصدقا لما معهم ، قل : فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ؟ »[٧] ، «وترى كثيراً منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون»[٨] وبهذا استحقوا غضب الله ولعناته : « أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً»[٩] .

وكانت النتيجة المحتومة أنهم « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس[١٠] وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة

---

(١) إنجيل متى ٢٣ : ٣٣ — ٣٥ . (٢) إنجيل متى ٢١ : ١٣ . (٣) الأعراف : ١٣٨ . (٤) الأعراف : ١٤٨ . (٥) البقرة : ٧٥ . (٦) المائدة : ١٨ . (٧) البقرة : ٩١ . (٨) المائدة : ٦٢ . (٩) النساء : ٥٢ . (١٠) لا يستطيعون أن يكون لهم كيان إلا بأمر الله وتحت حماية خارجية كحماية أمريكا الآن .

ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتـــدون »(١) ، « وما ظلمهم الله ولـكن أنفسهم يظلمون »(٢) .

التعصب الأكمه : إذا بالغ الباحثون فى وصف التعصب ، وصفوه بأنه تعصب أعمى ، ولـكن هذا الوصف يقصر عن تصوير أخلاق اليهود ، والوصف الجدير بهم هو التعصب الأكمه (الذى لا يرى ولا يسمع). ولا عجب فى هذا فقد بلغ بهم التعصب إلى درجة المرض الخطير الذى يسميه علماء النفس بالنرجسية وهو أن يعشق المريض نفسه فلا يرى فى الدنيا سواه ، فالـكون كله مسخر له ، وجميع الـكائنات — ماعداه — ماوجدت إلا لخدمته ، وهو بهذا لا يفكر ولا يرى ولا يسمع ولا يحس إلا ذاته و كل ما عداه هباء ، وكما يصاب الأفراد بهذا المرض الخطير تصاب به الجماعات ، وأشد الطوائف إصابة بهذا المرض الخطير طائفة اليهود ، ولقد أصبح هذا المرض فيهم خطيراً مزمناً متوارثا عبر الأجيال وهو مفتاح شخصيتهم ، وعلة تصرفاتهم ، منذ ظهروا حتى الآن ، فقد ورد فى التلمود (٣) — وهو موضع تقديسهم ، ومصدر عقيدتهم : « إن أرواح اليهود تتميز عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده ، وإن أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الأرواح ، لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات ، وإن نطفة غير اليهودى هى كنطفة باقى الحيوانات » .

ويزعمون أن النعيم مأوى أرواح اليهود ، وأنه لا يدخل الجنة إلا اليهود ،

---

(١) آل عمران: ١١٢ . (٢) آل عمران : ١١٧ .

(٣) راجع الـكنز المرصود فى قواعد التلمود ، وسفر حزقيال ٢٣ : ١٩ — ٢١ ، وإسرائيل والتلمود ص ٩٥ للأستاذ صاحب هذا التصنيف .

وأن النار مأوى جميع الشعوب ؛ ولهذا أصبح من مبادئهم المقدسة المدونة فى التلمود أنه « يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع استملاك باقى الأمم فى الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم ، وإذا تسلط غير اليهود على أوطان اليهود حق لهؤلاء أن يندبوا و يقولوا : يا للعار ! ويا للخزى ! وقبل أن تحكم اليهود نهائيا على باقى الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ، وأن يهلك ثلثا العالم » (١) .

وهم فى سبيل الظفر بحكم العالم لا يبالون أن يدمروا ثلثى العالم على أن يبقى الثلث الباقى لخدمتهم وكل منهم « معتبر عند الله أكثر من الملائكة ، فإذا ضرب أممى (٢) إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية ، ويستحق الموت ، ولولم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ، ولما خلقت الأمطار والشمس... والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودى وباقى الشعوب . . . والأجانب كالكلاب ، والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب (٣) ولا للكلاب، والكلب أفضل من الأجنبى لأنه مصرح لليهودى فى الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجنبى أو أن يعطيه لحما بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منه ... وقد خلق الله الأجنبى على هيئة إنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم » (٤) .

ومن هنا نرى كيف استشرى فيهم هذا الداء الخطير، وكيف قادهم إلى حافة الجنون حتى أصبحوا « يساوون أنفسهم مع العزة الإلهية ، فالدنيا وما فيها ملك لهم ويحق لهم التسلط على كل شىء فيها . والسرقة جائزة من اليهودى ،

---

(١) راجع الكنز المرصود وسفر حزقيال ٢٣ : ١٩ — ٢١ . (٢) يزعمون أن جميع الشعوب أممية بالنسبة إليهم ، وأنهم وحدهم انفردوا بالعلوم والفلسفة والفنون ، وقد نظروا إلى العرب هذه النظرة فقالوا : « ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .
(٣) جميع من عداهم من الشعوب . (٤) إسرائيل والتلمود ص ٦١ .

ومسموح بها إذا كانت من مال غير اليهود ، والسرقة من غير اليهودى لا تعتبر سرقة بل استرداداً لمال اليهودى . . . وأموال غير اليهود مباحة عند اليهود كالأموال المتروكة أو كرمال البحر التى يمتلكها من يضع يده عليها أولا ..».

ومن القواعد الأساسية فى التلمود « أنه مسموح بغش الأجنبى وسرقة ماله بواسطة الربا الفاحش »(١) ، وأن « حياة غير اليهودى ملك لليهودى فكيف بأمواله ؟ ؟ » . وقد أوصاهم سفر الخروج بأن «يستعيروا حلى المصريين وثيابهم وأمتعتهم وأموالهم ثم يستولوا عليها »(٢) .

ولا نستطيع أن نستطرد فننقل معظم نصوص التلمود والعهد القديم فحسبنا ما ذكرناه مثالا لما تركناه .

التدمير والتلويث : امتلأت حياة اليهود عبر القرون بالتطبيق الفعلى للانحلال الخلقى ، ولأحط ألوان الشر والفساد التى استقوها من التلمود ، ولهذا حرصوا على تدمير جميع القيم المثالية ، وعلى تشويه المقدسات السامية حتى الذات الإلهية فإنهم مع تقديسهم لله وتنزيه اسمه (يهوتاه) عن أن تنطق به الشفاه يستبدلون به اسم (أدناوى) ، وهم مع هذا يصفونه بالصفات البشرية فهو يقسم أوقاته بين العمل واللعب ، وهو ـ سبحانه ـ يقضى الساعات الأخيرة من النهار فى اللعب مع الحوت ملك الأسماك ، ويقضى ساعات الليل فى مذاكرة التلمود مع الملائكة ، ومع ملك الشياطين ، والإله عندهم يخطىء ويصيب ، ويستبد به الندم أحيانا حتى يحمله على البكاء ، بل هو يخصص ثلاثة أرباع

---

(١) أشار القرآن الكريم إلى هذه الصفة بقوله : « وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما» سورة النساء : ١٦٠ ، ١٦١ .

(٢) خروج ٣ : ٢١ ، ٢٢ .

الليل للبكاء والندم ، وهو إذا بكى سقطت من عينيه دمعتان فى البحر فيسمع دويهما فى الآفاق» (١) .

وإذا تساءلنا ما الذى يحمل الرب على الندم والأسف والبكاء ؟ إن الجواب طبعاً يدور حول بنى إسرائيل لأنهم شعب الله المختار أو هم أبناء الله وأحباؤه فإذا مسهم ضر أو حلت بهم كارثة استبد الغضب والحزن بالرب أعنف استبداد، وهتف فى ألم مرير قائلا : «تبا لى ! أمرت بخراب بيتى ، وإحراق الهيكل وتشريد أولادى ! ! » ، وإذا مجده الناس أدركه الندم وشعر بوخز الضمير لأنه سمح لأعداء شعبه المختار بهدم الهيكل ، وتشريد أبنائه الأعزاء فيقول : « طوبى لمن يمجده الناس وهو مستحق لذلك وويل للأب الذى يمجده أبناؤه مع عدم استحقاقه لذلك لأنه قضى عليهم بالتشريد والشقاء»(٢) .

وقد وصف القرآن الكريم تخبطهم الجنونى فى تصورهم للخالق المعبود ، فهم لا يستطيعون تصوره إلا فى صورة مادية مجسمة : « وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون »(٣) . وصوره لهم خيالهم المريض فى صورة تمثال ذهبى للعجل أبيس : « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون »(٤) . ثم لج بهم الخيال فعقدوا موازنة بينهم وبين الله ، وفضلوا أنفسهم عليه فقالوا : « إن الله فقير ونحن أغنياء »(٥) ، ثم قالوا « يد الله مغلولة »(٦) .

وأما تلويثهم للأنبياء فيعرضه التلمود والتوراة فى أقبح صورة وأشنع مثال: فآدم وحواء عليهما السلام عاهران : « فكان آدم يأتى شيطانة مهمة اسمها ليليت مدة ١٣٠ سنة فولد منها شياطين وكانت حواء لا تلد فى هذه المدة إلا شياطين ، بسبب نكاحها من ذكور الشياطين»(٧) .

---

(١) إسرائيل والتلمود للأستاذ إبراهيم خليل صاحب هذا التصنيف : ص ٣٧ ، ٣٨ .
(٢) المصدر السابق: ٣٨. (٣) البقرة : ٥٥. (٤) البقرة ٩٢.
(٥) آل عمران : ١٨٠. (٦) المائدة : ٦٤ .
(٧) الكنز المرصود فى قواعد التلمود ، وإسرائيل والتلمود ص ٥٨ للمؤلف .

ولوط عليه السلام صوره العهد القديم فى صورة رجل مخمور يتصل بابنتيه وينجب منهما : « فتلد الكبرى موآب ، وهو أبو الموآبيين ، وتلد منه ابنته الصغرى بن عمّى وهو أبو عمون » (١).

وهرون عليه السلام هو الذى صنع التمثال الذهبي للعجل، ودعا بنى إسرائيل لعبادته ، وليس السامرى كما ذكر القرآن الكريم(٢) ، فجعلوه داعية للشرك لا للتوحيد(٣) .

ويعقوب عليه السلام استباح لنفسه أن يحتال ويسرق مال صهره لابان ، وتتكرر منه الخديعة والسرقة عدة مرات (٤) .

وداود عليه السلام وقع بصره على امرأة مفرطة فى الجمال وهى تستحم متجردة من جميع ثيابها فشغف بها حباً وسأل عنها فأخبر أنها زوجة أوريا الحثى أحد جنوده المحاربين المشتركين فى حملة حربية بقيادة يوآب . فبعث داود فى طلبها فجىء بها إليه ، «واضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها ، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إنى حبلى »(٥) . وتحايل داود على أن ينسب الحمل إلى زوجها فاستدعاه من الميدان ، وأمره أن يبيت فى بيته قبل عودته ، فأبت شهامة الجندى الباسل أن يبيت منعما فى بيته وإخوانه فى ميدان القتال ، فرفض الذهاب إلى بيته وتكرر الطلب والرفض ، ولما ضاق داود ذرعاً أرسله إلى ميدان الكفاح وأرسل معه خطابا إلى القائد العام ليدبر قتله ، ويلقى مصرعه تنفيذاً لأمر داود ، « فلما سمعت امرأة أوريا أنه مات ندبت بعلها ، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا »(٦).

---

(١) تكوين ١٩ : ٣٠ — ٣٨ .
(٢) طه : ٨٥ — ٩٧ .
(٣) أعمال الرسل ٧ : ٣٥ — ٤٣ .
(٤) تكوين ٣٠ : ٣٧ — ٤٣ .
(٥) صموئيل الثانى ١١ : ٢ — ٥ .
(٦) المصدر السابق : ٦ — ١٥ .

وسليمان عليه السلام ضم فى حريمه ألف امرأة من مختلف الجنسيات ، ولما تقدمت به السن ضعف أمام نسائه ، فترك عبادة الله واعتنق عبادة أصنامهن ، فبنى معبداً لعشتورث إلهة الصيدونيين ، وملكوم إلهة العمونيين ، وكموش إلهة الموآبيين ، ومولك صنم بنى عمون ومال قلب سليمان عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب (١) .

والسيد المسيح عليه السلام « موجود فى لجات الجحيم بين الزفت والقطران والنار ، وأمه مريم جاءت به من العسكرى باندارا بمباشرة الزنا ، وأن الكنائس أشبه بالقاذورات ، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة »(٢).

وأما موقفهم من الرسول صلى الله عليه وسلم فقد عاهدوه ثم نقضوا عهده وناصروا المشركين عليه وانضموا إلى جيوش الأعداء فى غزوة الخندق ، ودبروا قتله بإلقاء حجر عليه فأنبأه الله بالمؤامرة ونجاه منها ، وحاولوا مرة أخرى قتله بالسم فدست إحدى نسائهم السم له فى ذراع شاة ، ونجاه منها الله .

ومن هذا يتضح أنهم شوهوا صورة الله ولوثوا أنبياءهم وقتلوا بعضهم وفضلوا أقوال الحاخامات على أقوال الأنبياء : « إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله . . . وقد وقع الاختلاف بين الله وبين علماء اليهود فى أمر من الأمور ، وبعد أن طال الجدال تقرر إحالة الخلاف إلى أحد الحاخامات الذى حكم بخطأ الإله مما اضطر سبحانه وتعالى إلى الاعتراف بالخطأ »(٣).

أما نظرتهم إلى بقية الشعوب فقد ذكرنا أنهم كانوا يعتقدون أن أرواحهم

---

(١) ملوك أول ١١ : ١ — ١٣ . (٢) الكنز المرصود ، وإسرائيل والتلمود ٦٠ — ٦١ .
(٣) الكنز المرصود ، وإسرائيل والتلمود ص ٥٧ .

أرواح حيوانات ، وأنهم خلقوا فى صورة الآدميين ليكونوا عبيدا وخدما لبنى إسرائيل .

إن هذا المرض الخطير الذى تفشى بين اليهود وتوارثوه جيلا بعد جيل (مرض النرجسية) قد أنتج فيهم مرضاً آخر يسميه علماء النفس بالسادية وهو التلذذ بإيقاع الأذى على الآخرين وحب تلويثهم ، وتبلغ النشوة قمتها عند هؤلاء المرضى بإراقة الدماء ، وبهذا تبخرت الإنسانية وانمحت من نفوس هؤلاء الأشرار فأصبحوا ممسوخين فى آدميتهم مشوهين فى طبائعهم كالقردة والخنازير ، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة : « فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين »(١)، والآية الكريمة : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل »(٢).

هذه الطبيعة الإنسانية المشوهة الممسوخة أنتجت آثارا ممسوخة تقوم على أساس الفتك والتدمير عند المقدرة ثم المكر والدس والنفاق والذلة والهوان عند الضعف ، وتاريخ اليهود منذ أربعين قرنا يقوم على هذين الأساسين دون تغيير .

أما الفتك والتخريب والتدمير فمن أصول عقيدتهم المقدسة فى صحائف التلمود ، ومن أمثلتها المعبرة فى صراحة وقحة : « من العدل أن يقتل اليهودى بيت كل كافر لأن من يسفك دم الكافر يقرب قربانا إلى الله » ، والكفار فى عقيدتهم هم كل من عدا اليهود ، وقد تكررت هذه النصيحة فى عشرات المواضع من التلمود مثل : « اقتل الصالح من غير اليهود ، ويحرم على اليهودى أن ينجى أحداً من الأجانب من الهلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها بل عليه

---

(١) سورة الأعراف : ١٦٦ .

(٢) سورة المائدة : ٦٠ .

أن يسدها بحجر » ، ويحدثنا سفر التكوين عن تدمير بنى يعقوب لإحدى مدن أعدائهم وكيف قتلوا كل ذكر وكيف نهبوا كل ما فى المدينة ، وما فى الحقل أخذوه ، وسلبوا ونهبوا كل ثرواتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما فى البيوت (١).

ومن وصايا التلمود أن اليهودى لا يخطىء إذا اعتدى على عرض الأجنبية لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد لأن المرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة ، والعقد لا يوجد بين البهائم .. ولليهود الحق فى اغتصاب النساء غير المؤمنات (٢)... والزنا بغير اليهود ذكورا كانوا أم إناثا لا عقاب عليه لأن الأجانب من نسل الحيوانات .

وأما المكر والنفاق والضعة والهوان وحبك الدسائس وتدبير المؤامرات فهى مشروعة مع غير اليهود طبقا لدستورهم المقدس من وصايا التلمود ، ومن أمثلتها : « ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه أو يرحمهم ، ويحق لليهودى أن يغش الكفار ، ومحظور عليه أن يحيى الكافر بالسلام مالم يخش ضرره أو عدوانه ، والنفاق جائز فى هذه الحالة ، ولا بأس من ادعاء محبة الكافر إذا خاف اليهودى أذاه . . . وإذا جاء الأجنبى واليهودى أمامك بدعوى فإذا أمكنك أن تجعل الإسرائيلى رابحا فافعل ، واستعمل الغش والخداع فى حق الأجنبى حتى تجعل الحق لليهودى . . . » .

ولا نستطيع أن نستطرد فننقل جميع فقرات التلمود وحسبنا ما ذكرناه مثالا لما أغفلناه (٣).

---

(١) تكوين ٣٤ : ١ — ٧ و ٢٥ — ٢٩ . (٢) غير اليهوديات .

(٣) راجع الكنز المرصود فى قواعد التلمود للدكتور روهلنج ، وأيضا إسرائيل والتلمود للأستاذ إبراهيم خليل أحمد صاحب الكتاب القيم الذى نقدمه للقراء الآن .

ونتيجة لهذا كله أصبح اليهود منعزلين عن العالم محصورين فى نطاق خواتهم المريضة وعقائدهم الدنسة الحقيرة ، يسرقون وينهبون ويستبيحون المحارم، فإذا كشفت المجتمعات أمرهم طاردتهم فى عنف ومزقتهم شر تمزيق ؛ ليعودوا فى مجتمعات أخرى لتمثيل أدوارهم البغيضة فى تلويث الكرامة الإنسانية فى كل مجال . وهكذا أصبحوا أقليات عديدة تحيا فى مختلف الدول وبين شتى الشعوب فى انطواء ذاتى وتمسك عصبى بألوان الفساد والانحلال فإذا آنسوا فى أنفسهم القوة أمعنوا فى التخريب والتدمير والفساد ، وما أتيحت لهم القوة قط إلا تحت ظل الآخرين .

* * *

وكثير من المسلمين يتلون قوله تعالى : «لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون . ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »(١).

كثير من المسلمين يتلون هذا النص القرآنى المقدس ، ويقولون : إن الله لا يخلف وعده وإن وعد الله حق . ولكن كيف تم النصر لليهود على المسلمين منذ عام ؟ (عام ١٩٦٧) ، وكيف استطاعوا أن يفرضوا أنفسهم على الأرض المقدسة ، وأن يحتلوا المسجد الأقصى ، وهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، ومهبط الأنبياء ، وموطن الإسراء والمعراج ؟ ثم يمعن فى التساؤل قائلا: كيف عزوا بعد الذل ؟ وقووا بعد الضعف ، واستطالوا بعد الهوان ؟

ولهؤلاء نقول : إن الله لا يخلف وعده ، وإنهم من بعد غلبهم سيغلبون ،

---

(١) سورة آل عمران : ١١١ ، ١١٢ .

وإن الله سبحانه وتعالى يبتلى عباده المخلصين : « وليمحص الذين آمنوا ويمحق الكافرين »(١) ، وقد ابتلى الله المسلمين فى غزوة أحد ، كما ابتلاهم فى غزوة الخندق وفى غزوة حنين، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وحتى «زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر »(٢) ، وحتى « ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا »(٣) ، ولكن الإيمان والثقة بالله والتضحية والاستشهاد كانت عدة النصر ، وبشير الفوز ، وطليعة الأمان : «ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما »(٤) ، وإذا انطلقت الشائعات ونمت وتناقلتها الألسنة مشفوعة بعبارات الإرهاب والتخويف تكسرت هذه الموجات على شواطىء اليقين والإيمان : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم »(٥) . وكانت النتيجة أن الله نصر أولياءه وخذل أولياء الشيطان : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً »(٦).

وإذا كان المؤمنون قد أصابهم عنت ومشقة فقد أصاب أعداءهم شتى ألوان العنت ، والمشقات : « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله »(٧)، وعلى المؤمنين أن تظل ثقتهم بالله قوية وإيمانهم به فوق منال الريب والشكوك : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون »(٨)، فلا مجال للوهن ولا للتوجس والخوف بأى حال: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» (٩) .

---

(١) آل عمران : ١٤١ . (٢) الأحزاب : ١٠ . (٣) الأحزاب : ١١ .
(٤) الأحزاب : ٢٢ . (٥) آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤ .
(٦) الأحزاب : ٢٥ . (٧) آل عمران : ١٤٠ . (٨) الحجرات : ١٥ .
(٩) آل عمران : ١٣٩ .

وعلى كل مسلم أن يعلم علما يقينا لا يعتريه شك أو ارتياب أن الذلة التى ضربها الله على اليهود ظلت قائمة وستبقى قائمة إلى أن « تبدل الأرض غير الأرض والسموات »(١) ؛ لأنهم لا يشعرون بالعزة إلا وهم أذلاء ، ولا بالقوة إلا وهم ضعفاء ، ولا بالاستقلال إلا وهم محتـــلون ، فالذلة مضروبة عليهم : « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » ، فحبل الله أن يهيىء لليهود فرصة النصر المؤقت لابتلاء المؤمنين ليتوبوا إلى الله وليستمسكوا بحبله المتين ، والله ينصر من ينصرونه: « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين »(٢)،وإذا انتصر اليهود فى بعض المعارك فسينهزمون أخيراً فإن العاقبة للمتقين : « يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم »(٣)، ولقد نبه الله المؤمنين عقب غزوة أحد إلى علة ما أصابهم من هزيمة واندحار : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم . . . »(٤)،« وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور »(٥) ، فالفشل والانقسام وعصيان أوامر القادة كانت من أهم أسباب الانهزام . . ولـكنه درس يلقنه الله لأوليائه لينقى نفوسهم وليلقنهم أن الإيمان والاستعداد والوحدة والطاعة المطلقة هى أساس النصر المبين .

فليس معنى انهزام المسلمين فى بعض المواقع استسلامهم للذلة والهوان ، وليس معنى انتصار اليهود فى بعض المواقع أنهم تخلصوا نهائياً من الذل والهوان .

وأما حبل الناس فإن التاريخ يحدثنا أن اليهود كانوا يلوذون دائما بالدول

---

(١) سورة إبراهيم : ٤٨ . (٢) سورة الروم : ٤٧ . (٣) سورة محمد: ٧ ، ٨ .
(٤) سورة آل عمران ١٥٢ . (٥) آل عمران : ١٥٤ .

القوية والحكام الأقوياء يستظلون بحمايتهم، ويعيشون فى كنفهم أذلاء.
وإلى هذا أشار التلمود بقوله: « نحن شعب الله فى الأرض، وقد أوجب علينا أن يفرقنا لمنفعتنا، ذلك أنه لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا الحيوان الإنسانى وهم كل الأمم والأجناس، سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان: نوع أخرس كالدواب والأنعام والطير، ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وسائر الأمم من أهل الشرق والغرب، فسخرهم ليكونوا فى خدمتنا، وفرقنا فى الأرض لنمتطى ظهورهم ونمسك بعنانهم، ونستخرج فنونهم لمنفعتنا، لذلك يجب أن نزوج بناتنا الجميلات للملوك والوزراء والعظماء، وأن ندخل أبناءنا فى الديانات المختلفة، وأن تكون لنا الكلمة العليا فى الدول وأعمالها فنفتنهم ونوقع بينهم وندخل الخوف عليهم ليحارب بعضهم بعضا وفى ذلك كله نجنى الفائدة الكبرى »(١).

فهم يلتمسون العزة بتقديم بناتهم الجميلات للملوك والوزراء والعظماء، وأن يدوس أبناؤهم عقائدهم المقدسة ويعتنقوا الديانات الأخرى ليخدعوا أرباب هذه الديانات، وليستمدوا منهم القوة والاستعلاء، وما كان حكام اليهود — كما يقرر المؤرخ الكبير هـ. ج. ولز(٢) — إلا « قضاة من الكهنة ينتخبهم الشعب وأصبحوا بعد الوحدة ولايتين صغيرتين بين شقى الرحى تطحنهما على التوالى سوريا ثم بابل من الشمال، ومصر من الجنوب.. ». هى قصة ملوك همج يحكمون شعبا من الهمج حتى إذا وافت سنة ٧٢١ ق.م. محت يد الأسر الأشورى مملكة إسرائيل من الوجود، وزال شعبها من التاريخ زوالا تاما، وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى حل بها سنة ٦٠٤ ق. م. ما حل بإسرائيل.

---

(١) إسرائيل والتلمود لصاحب هذا المصنف ص ٧٢ .
(٢) موجز تاريخ العالم ص ٩٢ وما بعدها .

ولما كانت شوكة مصر قوية سنة ٦٠٨ ق.م . لجأ إليها اليهود وعاشوا فى ظلها أذلاء لها أقوياء — بقوتها — على أعدائهم . فلما ضعفت مصر وقويت شوكة البابليين كاد اليهود لمصر وانضموا إلى القوة الناشئة الجديدة تحت حكم نبوخذ نصر ، ولكن دسائسهم ومكائدهم حملتهم على احتراف الجاسوسية واعتقال بعض النابهين من البابليين ، «عندئذ صمم الملك الجديد أن يمزّق تلك الدولة الصغيرة كل ممزق بعد أن ظلت أمداً طويلا تستفيد من تأليب مصر على الإمبراطورية الشمالية فأمر الملك بسبي يهوذا ونهبت مدينة أورشليم ودمر الهيكل وأحرقت القصور وحمل من بقى بها من الناس أسرى إلى بابل » (١) .

ولما بزغت دولة الفرس القوية اتصل بها اليهود وقدموا فتاتهم الجميلة (استير) للملكها القوى فلقيت لديه مكانة أثيرة لأنها كانت « جميلة الصورة وحسنة المنظر .. وحسنت الفتاة فى عينيه ونالت نعمة بين يديه .. وكانت استير تنال نعمة فى عينى كل من رآها . . فأحب الملك استير أكثر من جميع النساء ، ووجدت نعمة وإحسانا قدامه أكثر من جميع العذارى فوضع تاج الملك على رأسها» (٢) فاستطاعت أن تشفع لقومها اليهود وترفع عنهم التشريد «وكان فرح وبهجة عند اليهود وولائم ويوم طيب» (٣) .

وقد وصف القرآن الكريم اليهود بالجبن والتمزق : «وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين» (٤) كما وصفهم بأنهم : «لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » (٥) . أما جبنهم فأحداث تاريخهم فى

---

(١) موجز تاريخ العالم للمؤرخ الكبير هـ . ج . ولز ص٨٩.
(٢) سفر استير الإصحاح الثانى . (٣) استير الإصحاح الثامن.
(٤) سورة الحشر: ٢. (٥) الحشر : ١٤ .

أربعين قرنا تنطق به وتـــدل عليه ، وأما أن بأسهم بينهم شديد وأن قلوبهم شتى فهو أمر معروف منذ نشأتهم حتى الآن ، أما فى نشأتهم فقد انقسموا إلى ولايتين متدابرتين متناحرتين هما ولاية يهوذا فى الجنوب ، وولاية إسرائيل فى الشمال ، والمطالع لسفر الملوك الأول وسفر الملوك الثانى فى العهد القديم يرى كيف انحرفت الولايتان إلى عبادة الأصنام ، وكيف قامت بينهما الحروب المدمرة . وقد ذكر الإصحاح الثالث عشر من سفر أخبار الأيام الثانى أن الله نصر يهوذا على إسرائيل ، « فانهزم بنو إسرائيل من أمام يهوذا ودفعهم الله ليـــدهم وضربهم أبيّا وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى من إسرائيل خمسمائة ألف » (١).

واستمر تاريخ اليهود على هذا المنوال حتى العصر الحديث ؛ فبعد قيام إسرائيل انقسم اليهود إلى طائفتين : طائفة ترى فى قيام إسرائيل خطراً على اليهودية وجناية على الطوائف اليهودية التى تعيش كرعايا فى الدول القوية لأنها تظهرهم فى مظهر الأجانب ، وهم بهـــذا يخضعون للقوانين التى تطبق على الأجانب فى هذه الدول ، فتسلبهم ما ظفروا به من نفوذ وثراء وجاه . وطائفة أخرى تهلل وتكبر لقيام إسرائيل وتمدها بالأموال والسلاح والرجال . أما فى داخل إسرائيل فالجموع اليهودية منقسمة إلى طائفتين كبيرتين طائفة القرائين وطائفة الربانيين ، والخلاف بينهما شديد فى العقيدة الدينية . وهناك انقسام أشد خطراً وهو تعصب اليهود الوافدين من أوروبا على اليهود الوافدين من الشرق واستئثار الأولين بالمناصب والنفوذ ، وحصر الآخرين فى نطاق العمال والزراع والخدم ومن فى مستواهم من السوقة والغوغاء ، وهو اضطهاد عنصرى عجيب

---

(١) أخبار الأيام الثانى ١٣ : ١٣ — ١٧ (أبيا بن يربعام ملك يهوذا) .

جعل كثيرين من اليهود الشرقيين يتسللون هربا من إسرائيل .

* * *

وتاريخ اليهود ملىء بالعجائب حافل بالمتناقضات ، وقد صدرت عدة كتب بمختلف اللغات تناولت هذا التاريخ من زوايا مختلفة ولكن الكتابة فى هذا الموضوع تحتاج إلى مؤرخ عالم دقيق ، درس جميع الأسفار المقدسة دراسة علمية عميقة ، وألم إلماماً كبيراً بالتلمود ، وتعمق فى الأبحاث التاريخية العامة ، وعرف البواعث والأسباب ، والأهداف ، ولمس ماوراء الظواهر ، وكشف ماخلف الأستار من دسائس ومكائد ومؤامرات ، وبحث أهداف الصهيونية ، وعرف وسائلها الظاهرة والخفية وأدرك أسرار الجمعيات التى أنشأها اليهود فى صورة غير يهودية ، وعلم أغراضها العلنية والمستورة ، ودرس إلى هذا كله التاريخ الإسلامى ، وبحث الصراع الدينى بين مختلف العقائد وهذا كله يحتاج إلى مجمع علمى يتكون من صفوة الباحثين المنصفين .

ولكن الأستاذ إبراهيم خليل أحمد تقدم لحمل هذا العبء وحده فى ثقة واطمئنان ويقين، ومما لاشك فيه أن غيره لا يستطيع النهوض وحده بهذا العمل والقيام به على خير وجه والاستقلال به فى أحسن أداء .

فقد تيسرت له وسائل لم تتيسر لغيره من الباحثين ومن أهمها :

اولا — انه بدأ حياته العلمية مسيحيا ماعصبا متخصصا فى الكتاب المقدس:

حيث درس نصوصه وعرف فلسفته ، وقرأ شروحه قراءة مستوعبة وآمن به إيمانا عميقا سواء بأسفار العهد القديم أم بأسفار العهد الجديد ، كما ألم إلماماً تاما بالعقائد اللاهوتية وتاريخ اليهود ورجال الكنيسة فى شتى العهود .

ثانيا — اهلته مواهبه العقلية للحصول على اجازات علمية عديدة ، من اهمها:

١ — دبلوم كلية أسيوط الأمريكية الثانوية سنة ١٩٤٢ م .